عند الشدائد

من طبيعة الألم أنّه لا يطيق الكتمان. فهو أبداً يذيع ذاته، إن لم يكن بالصراخ والأنين فبالإشارة والحركة، أو بانطلاق الدمع من العين، أو بانكماش أسارير الوجه انكماشاً قد يكون أبلغ بكثير في البوح بالألم من الدمع والحركة ومن الأنين والصراخ. وقليل هم الذين إذا عضّهم الألم فأدماهم جعلوا من دمائهم بلسماً لجراحهم. وأقل منهم أولئك الذين يسمعون في صوت الألم صوت المعلّم الحنون، ويلمسون في يده يد المربي الماهر أو يد الآسي الرفيق، فيستقبلونه استقبال الصديق ويكرمون وفادته ويقبلون بالشكر وبالفهم رسالته.

ومن طبيعة الموجوع أنّه لا يلذّ له شيء مثلما يلذّ له التحدّث عن أوجاعه. فهي الموضوع الأحبّ إلى لسانه وأذنه وقلبه. فكأن مكمَن الوجع فيه هو المحور الذي تدور عليه حياته. وكأن العضو المصاب في جسده، أضرساً كان أم إصبعاً أم ظفراً، هو العضو الأوّل والأهمّ في جسده. بل هو الجسد كلّه. وينسى، أو يتناسى، أن قلبه ما يزال ينبض